**المحاضرة الثانية: تاريخ الفكر اللساني 1(عند العرب).**

الهدف العام: أن يطلع الطالب على الجهود العربية في ميدان اللسانيات.

الهدف الخاص: أن يعرف الطالب مجالات البحث اللساني التي اهتم أو برع فيها العرب.

الهدف الاجرائي: أن يكون الطالب قادرا بعد نهاية المحاضرة على ذكر بعض العلماء وأهم أعمالهم اللسانية.

مقدمة:

اهتم العرب اهتماما كبيرا باللغة العربية، وزاد اهتمامهم بها مع نزول الوحي وتوسع رقعة الإسلام، ودخول الأعاجم في الدين الجديد، فبدأت حركة التدوين مع مطلع النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة خوفا على اللسان العربي من الزيف، والتحريف وضياع اللغة، وصونا لملكة اللسان العربي.

فظهرت العلوم العربية كعلم المعاجم، وعلم النحو، والبلاغة، وعلم الأصوات الذي ارتبط بالتأليف المعجمي، وبقراءة القرآن وتعدد القراءات، كما زاد الاهتمام ببحث أصول الكلمات، ودلالاتها غوصا في دقائق القرآن، وأسرار عربيته، وجمالها فبرزت مسائل الاعجاز التي أسالت كثيرا من الحبر، وساهمت بشكل كبير في تطور البلاغة العربية، كما بحث العلماء غريب القرآن واهتم آخرون بنص الحديث النبوي ولغته، وكلها مسائل تبرز مدى اهتمام العرب بلغتهم ورغبتهم في خدمتها.

أولا/ الجهود اللغوية العربية القديمة:

بدأ البحث اللغوي عند العرب في وقت مبكر منذ القرن الثاني للهجرة، وكانت أولى المحاولات تلك التي قدمها الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث يعود له أول معجم عربي وهو" معجم العين" خاصة مقدمته الرائعة التي تعدّ من أهم ما كُتِب في علم الأصوات عند العرب، وقد بنى معجمه على أساس صوتي، فتأثر به كثيرون ممن ألفوا في المعاجم العربية، كما نقل عنه سيبويه كثيرا مما تعلق بالمسائل النحوية، والصوتية فكان الجزء الرابع من كتابه " الكتاب" بمثابة لبنة لبحث أثر الأصوات في بنية الكلمة، كما اشتغل علماء القراءات بالأصوات وأجراسها لأهمية ذلك في سلامة القراءة ودقتها "وهكذا اتخذ الاهتمام بالبحث الصوتي عند العرب عدة أشكال، فهو عند الخليل مدخلا للمعاجم، وعند سيبويه وسيلة للتحليل الصرفي، وعند مؤلفي كتب القراءات وسيلة لوصف ظواهرها الصوتية. أما الكتاب الوحيد الذي أُلف في الدراسات الصوتية وحدها فهو كتاب "سر صناعة الاعراب" لابن جني."[[1]](#footnote-2)

كما لا تخفى على أحد جهود ابن جني اللغوية إذ يعد مؤسس علم الصرف العربي وأحسن مثال عن ذلك كتابه "الخصائص"، وإن كانت مسائل علم الصرف تأتي في الغالب مرتبطة عند علماء العربية بعلم الأصوات الذي استأثر باهتمامهم لكونه أساس كل المستويات الأخرى، وهذا ما نلاحظه عند سيبويه أيضا، فهو وإن كان يعرف بإمام النحاة وكتابه بقرآن النحو العربي إلا أنّ كثيرا من المسائل النحوية أخذها عن الخليل الذي لا تخفى مكانته في تأسيس كثير من العلوم العربية كعلم الأصوات، وعلم المعاجم، وعلم العروض.

ونظرا لدخول الأعاجم في الإسلام، وتفشي اللحن ظهر النحو العربي على يد أبي الأسود الدؤلي، وتحدث في كثير من مسائله الخليل بن أحمد الفراهيدي،ثم بدأ التأليف فيه فظهر "الكتاب" لسيبويه، و" المقتضب" للمبرد، و" أصول النحو" لابن السراج وغيرهم، كما كثر الحديث في المسائل النحوية فظهرت المدراس النحوية التي عمقت البحث في قضاياه وسرعان ما ظهرت الخلافات بينها، وتوسعت أبواب النحو، وتشعبت القضايا والآراء، فجاء من استصعب النحو بعد أن فسدت الملكات، وظهرت أولى محاولات التيسير، وتحول النحو إلى نحو تعليمي، ومن ذلك كتاب "التسهيل" لابن مالك، و"المفصل" للزمخشري، وكذا ما كتبه ابن الحاجب في مقدمة" المفصل" حيث تم الاقتصار على المبادئ للمتعلمين، ثم مال العلماء إلى نظم مسائل النحو تسهيلا لحفظها من قبل المتعلمين ومن ذلك:" الأرجوزتين الكبرى والصغرى" لابن مالك، و"الأرجوزة الألفية" لابن معطي وقد سعى العلماء إلى الاجمال مع التفصيل والاختصار[[2]](#footnote-3)، وللإشارة فقد ارتبط النحو في كثير من مسائله بالقراءات القرآنية مثل: كتاب" الحجة في القراءات السبع" لابن خلويه، و" الحجة في القراءات" لأبي علي الفارسي، وكتاب" المحتسب في القراءات الشاذة" لابن جني.

كما بحث العرب علاقة اللفظ بالمعنى وارتبط ذلك عندهم بقضايا الإعجاز مثل كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم التي تعد من أهم ما قدم في اللسانيات العربية، كما تحدثوا عن ظاهرة المجاز في اللغة التي غداها ظهور المذاهب والفرق الإسلامية كالمعتزلة، فظهرت كتب تناولت مجاز القرآن ومعانيه، وغريبه، ومنها:" مجاز القرآن" لأبي عبيدة، و"معاني القرآن" للفراء، و" غريب مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني وغيرها كثير.

فكانت هذه الكتب وغيرها عاملا في تطور البلاغة والاهتمام بمسائل الدلالة في العربية.

ثانيا/ علوم اللسان العربي:

اختلف العلماء في تحديد عدد فروع علم اللسان عند العرب لأن العلوم العربية ظهرت في بدايتها مرتبطة ببعضها البعض، حيث نلفي من ألف كتابا في علم النحو وهو يضمنه مباحث صوتية، أو آراء نقدية، أو قضايا صرفية، كما نجد في شروح المعلقات كثيرا من المسائل النحوية، والصرفية، والملاحظات البلاغية، غير أننا سنكتفي بالحديث عن الفرابي وابن خلدون بِعدّهما أبرز من تحدث في فروع علم اللسان.

قسم الفارابي علم اللسان إلى سبعة أقسام، حيث قال:" علم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة،وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانيين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار."[[3]](#footnote-4)

وقد قدم الفارابي علم الألفاظ المفردة على بقية علوم اللسان لأن معرفة الانسان به هي مفتاح لمعرفة لغته، ذلك أن الألفاظ ذخائر اللغة وخزائنها، وبالتالي يأتي اهتمامه أولا بما يحفظ لكل لغة معجمها وكيانها، قبل البحث في دقائقها وأسرارها عبر معرفة قوانين بنيتها.

أما (ابن خلدون) فيجعل علوم اللسان العربي أربعة ذكرناها في محاضرتنا السابقة وهي:" علم النحو، وعلم اللغة، وعلم البيان، وعلم الأدب" فيقدم علم النحو على بقية العلوم العربية لأنه مرتبط بالدلالة وبالتالي مقاصد الشريعة وهو بذلك يثبت الرأي القائل إن العلوم العربية قامت لخدمة لغة القرآن تحركها رغبة أهلها في الغوص في أسرار هذا النص المعجز.

**ثالثا/الدراسات اللغوية عند العرب المحدثين:**

إن الحديث عن الجهود العربية الحديثة في مجال اللسانيات يطول لكثرة الدراسات والمجالات التي طرقها الباحثون، لذلك سنقدم فقط لمحة عن أهم الاتجاهات التي ظهرت عند المحدثين حيث يمكننا أن نشير إلى أهمها:

اتجه الباحثون في عصرنا إلى:

1. محاولة تيسير الدرس اللغوي العربي وهنا نشير إلى جهود تمام حسان.
2. ترجمة بعض النظريات الغربية ومحاولة التأسيس لمفاهيم لسانية مماثلة في العربية مثل ما قام به أحمد المتوكل الذي ترجم نظرية النحو الوظيفي لفاندايك وقدم نظرية النحو الوظيفي في العربية.
3. مراجعة التراث العربي والاضافة له بعد الاطلاع على النحو اليوناني وهنا نذكر إعادة تقسيم الكلام العربي إلى أربعة أقسام على شاكلة المدرسة الرواقية وهذا ما نجده عند كل من إبراهيم أنيس ومهدي المخزومي، أو تقسيم الكلام العربي إلى سبعة أقسام على شاكلة أرسطو وهذا ما قام به تمام حسان وتلميذه فاضل مصطفى الساقي.
4. مراجعة تراثنا العربي وبناء مدرسة تمتد جذورها عبره مثل المدرسة الخليلية الحديثة التي استحدثها عبد الرحمن الحاج صالح بعد دراسته لتراث الخليل بن أحمد الفراهيدي.
5. تقديم النظريات الغربية عبر ترجمتها وتبسيطها ونقدها ومقارنتها باللغة العربية وهنا نذكر جهود كل من عبد السلام المسدي في القضايا العامة للسانيات، أحمد مختار عمر خاصة في علم الأصوات، ومازن الوعر عبر اهتمامه بنظرية النحو التوليدي التحويلي لتشومسكي، وعبد القادر الفاسي الفهري الذي عقد مقارنة بين اللسانيات الغربية -خاصة النحو التوليدي التحويلي-واللغة العربية، وجهود مصطفى غلفان في مراجعة وقراءة الفكر السوسيري.

خاتمة:

وآخر ما نختم به كلامنا عن الجهود اللسانية العربية أنها لا تقل أهمية عمّا قدمه العلماء في الغرب، من حيث تنوع موضوعات الدراسة وتوسع مجالات الدرس اللغوي عندهم، وإن كانوا برعوا في علم الأصوات إلى حد يثير العجب –خاصة- وأن الملاحظات الصوتية التي أدرجها الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة "معجم العين"عند حديثه عن مخارج الحروف دقيقة جدا، إذ جعل لكل حرف حيزا دقيقا خاصا به لا يختلف عما أثبتته الصوتيات التجريبية في المخابر اللسانية، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على تميز الدراسات اللسانية العربية التي بنيت على الوصف والملاحظة.

1. - محمود فهمي حجازي. **البحث اللغوي**. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: مصر. ص. 18 [↑](#footnote-ref-2)
2. - ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمن محمد). **مقدمة ابن خلدون**. ص.261 [↑](#footnote-ref-3)
3. - الفارابي. **إحصاء العلوم**. ص. 19 [↑](#footnote-ref-4)